

# الباب الرابع

## الحسبة في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والتابعين

الفصل الأول : الحسبة في عصر الرسول ﷺ

الفصل الثاني : الحسبة في عصر الصحابة والخلفاء الراشدين

الفصل الثالث : الحسبة في عصر التابعين

obeikandi.com

## الفصل الأول

### الحسبة في عصر الرسول ﷺ

النبي ﷺ هو الموصوف بأنه سوف يقوم بالحسبة لأنها من أوصافه كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة<sup>(٢)</sup>.

لقد بدأت الحسبة في عهد النبي ﷺ بشكل فردي تطوعي لا تديره ولاية ولا يتم عن طريق تنظيم معين فالحسبة كغيرها من الاعمال وخطط الحكومة النبوية في المدينة النبوية وفي بداية تأسيسها تدار بشكل فردي ، وهذا شيء بدهي لكيان يتشكل ودولة تؤسس، فبالحسبة بدأ نظام الحسبة خاصة وإن نظام الحسبة لا ترتبط بنشوء الدولة بل مارسها المسلمون منذ فجر الدعوة الإسلامية<sup>(٣)</sup> على وحي من النصوص التي جاءت تحث على القيام بها ذلك لأن الحسبة من الامور المهمة والضرورية لأي مجتمع يتطلع إلي أن يسود بين أفراد الصلح والفضيلة إذ بدونها - أي الحسبة - لا يمكن أن يحافظ على تطبيق شرائع الإسلام بين أفراد الأمة .

(وعلي هذا فإن وجودها لا يتوقف على قيام الدولة ذات الكيان السياسي . وإنما الحسبة توجد أينما وجد مسلمان فأكثر ، لأنها

(1) سورة الأعراف، آية (١٥٧) .

(2) تفسير ابن كثير ٢/٢٨٢ .

(3) هموم المتقنين في العالم الإسلامي، محمد كمال الدين إمام، ص ٩٧ .

النصيحة . والنصيحة بين المسلمين مطلوبة ومأمور بها شرعاً ألم يقل ﷺ :  
" الدين النصيحة ... الحديث "(1) ويقول ﷺ : " المؤمن مرآة أخيه "(2) أي أن  
المؤمن يري أخطائه من خلال نصح أخيه له . وهذه هي عين الحسبة .  
البعض يرجع نشأة الحسبة إلي العهد الأموي ، وفريق آخر يرجع ذلك  
إلي بداية العهد العباسي ، وثالث يؤكد أن الحسبة بدأت مع بداية  
التاريخ الإسلامي ومنذ قيام دولة الإسلام في المدينة النبوية وها ما نميل  
إليه . فإن الاحتساب انبثق من أول نص شرعي جاء يأمر بالمعروف وينهي  
عن وجود المنكر . الذين قالوا بالرأيين السابقين يقصدون بداية قيام  
ولاية الحسبة كولاية سلطانية رسمية تتولي إدارة عمل الحسبة داخل  
الدولة الإسلامية . وإذا كان ذلك فهي فعلاً لم تقم في عهده ﷺ ولا في  
عهد الخلفاء الراشدين وإنما قامت بعد ذلك .

وبهذا أكون قد وفقت بين الأقوال الثلاثة وعلي ما تقدم أؤكد  
القول بأن الحسبة بدأت مع بداية نزول النصوص التي تحث علي القيام  
بالاحتساب بين المسلمين وتم ذلك مع بداية دولة الإسلام في المدينة النبوية  
على يد رسول الله ﷺ . ولذا نجد أنه عندما ظهرت مخالفات كثيرة أراد  
الرسول ﷺ أن يعالج الحالة بحكمه وبنظام ، ويظهر ذلك من خلال  
تكليفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سوق المدينة ولسعيد بن  
العاص رضي الله عنه على سوق مكة وهذا دليل على نهجه السليم ﷺ  
في جعل الأمور تسير في إطار الشرع ومبادئ الدين والاخلاق .

وكان ﷺ قد بدا ذلك بالحسبة بنفسه قولاً وعملاً فمن حسبته  
الفعلية أنه مر يوماً على سوق المدينة فوجد صاحب طعام يبيع وكان قد  
أخفي الطعام المبتل بالماء داخل صبرة فمد يده ﷺ إلي الصبرة وأدخلها في  
وسطها وقد يكون شك في غش هذا الرجل أو أنه أوحى إليه فلما أدخل

(1) رواه مسلم (٤٧/١) كتاب الإيمان حديث ٥٥ .

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٦٣٢/٢ .

يده في وسط الصبرة وجد بللا قال ﷺ: " ما هذا يا صاحب الطعام؟ " قال : لقد أصابته السماء يارسول الله - أي نزل عليه المطر - قال ﷺ: " أفلا جعلته في أعلي الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا " (١).

وللنبي ﷺ صور كثيرة من صور الاحتساب تارة يقوم بالاحتساب بنفسه وتارة يعهد به إلي آخرين (٢).

وقد أورد فضل إلهي ظهير في كتابه " الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم " أمثلة مفصلة لاحتساب الرسول ﷺ بنفسه وما عهد لغيره به حيث احتسب في مجالات عديدة نذكر منها .

قيامه بالاحتساب بنفسه وهي صفة من صفات الرسول ﷺ ، قال تعالي: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وكان النبي ﷺ كما وصفه ربه تعالي أمراً بالمعروف إذا رآه متروكاً، ناهياً عن المنكر إذا وجده مفعولاً، ولم يقتصر احتسابه على جانب من الجوانب الحيوية بل شمل جميع شئون الحياة . ونضرب أمثلة من قيامه بالحسبة بنفسه .

#### ١- احتسابه في مجال اللباس :

من احتسابه في مجال اللباس أنه أمر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برفع الإزار فقد روي الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

(1) رواه مسلم ٩٩/١ كتاب الإيمان حديث ١٠١ .

(2) انظر على بن حسن بن علي القرني، الحسبة في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ٤٩٣ - ٤٩٥ .

(3) سورة الأعراف، الآية (١٥٧) .

قال : دخلت على النبي ﷺ وعلي إزار يتقعقع (يصوت عند التحريك) ، فقال: " من هذا ؟" قلت عبد الله بن عمر قال: "إذا أنت عبد الله فارفع إزارك " فرفعت إزاري الى الساقين ، فلم تزل إزرته حتى مات<sup>(١)</sup> .

## ٢- في مجال الزينة :

ومنه أنه أنكر على رجل كان قد لبس خاتما من ذهب ، فقد روي الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأي خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلي جمرة من نار فيجعلها في يده " فقييل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك ، انتفع به ، قال لا والله ! لا آخذه أبداً ، وقد طرحه رسول الله ﷺ (صحيح مسلم ١٦٥٤/٣ / رقم ٢٠٩٠ باب التحريم خاتم الذهب على الرجال) .

## ٣- احتسابه فيما يتعلق بحقوق المالك :

ومن هذا انه انكر على ابي ذر رضي الله عنه قال : انى سابيت رجلا فغيرته بأمه فقال لى النبي ﷺ: " يا أبا ذر أعبرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، ولا تكلفونهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم"<sup>(٢)</sup> .

## ٤- احتسابه في مجال السوق :

وقد تقدم كيف أنكر على الذي يجعل الطعام الذي اصابته السماء من تحت وقال " من غشنا فليس منا ..... الحديث " أو كما قال ﷺ .

## ٥- احتسابه فيما يتعلق بآداب المسجد :

ومن ذلك انه كان يامر باخراج الرجل الذي كان يجد ريح الثوم أو البصل منه من المسجد فقد روي الإمام احمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال فى خطبته يوم الجمعة : أيها الناس ! تأكلون من

(1) المسند: رقم الحديث ٦٢٦٣ ، ٩٣/٩-٩٤ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية - رقم الحديث ٨٤/٣٠١ .

شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين، هذا الثوم والبصل وأيم الله! لقد كنت أرى نبي الله ﷺ يجد ريحهما من الرجل فيأمر فيؤخذ بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتي به البقيع . فمن أكلهما فليمتهما طبخاً<sup>(١)</sup> .

#### ٦- احتسابه في مجال العبادة :

ومنه أنه زجر أصحابه الذين مسحوا أرجلهم في الوضوء بدل غسلها . فقد روي الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : تخلف النبي ﷺ عنا في سفرة سافرناها فأدركنا وقد أرهقنا العصر (أى أدركنا العصر) فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا ، فنادي بأعلي صوته : " ويل للأعقاب من النار " مرتين أو ثلاثاً<sup>(٢)</sup> .

#### ٧- احتسابه فيما يخص العقيدة :

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ : " ما شاء الله وشئت " فقال له رسول الله ﷺ : " أجعلني والله عدلاً ؟ (بمعنى المثل) بل ما شاء الله وحده "<sup>(٣)</sup> .  
فقد روي الإمام البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : " قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ "<sup>(٤)</sup> .  
هناك أمثلة تدل على ان الرسول ﷺ أسند القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غيره ونضرب أمثله على ذلك بما يلي :  
روي الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " كنا في زمان رسول الله ﷺ نبتاع الطعام فيبعث علينا من يأمرنا بانتقاله من المكان الذي ابتعناه فيه الى مكان سواه قبل ان نبيعه "<sup>(٥)</sup> .

(1) المسند، رقم الحديث ٨٩، ١٩٢-١٩٣ م .

(2) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب غسيل الرجلين ولا يمسح على القدمين - رقم الحديث ٢٦٥ / ١٦٣،١ .

(3) المسند - رقم الحديث ١٨٣٩، ٢٥٣/٣ وقال الشيخ أحمد محمد شاكر عنه "إسناده صحيح" (تعليقات الشيخ أحمد محمد شاكر على المسند ٢٥٣/٣) .

(4) سورة سبأ: الآية ٤٩ .

(5) صحيح مسلم - كتاب البيوع، باب بطلان البيع قبل القبض، رقم الحديث ١٥٢٧، ٣/١١٦٠ .

ومنها أنه ﷺ أمر على بن ابي طالب رضي الله عنه بكسر الأوثان، وتسوية القبور وتلطيح الصور . فقد روي الإمام أحمد عن على رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في جنازة ، فقال: أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟" لطخها من لطخ أى لوث، يقال: لطخ ثوبه بالمداد وغيره<sup>(١)</sup> فقال رجل أنا يا رسول الله!، فانطلق، فهاب أهل المدينة، فرجع فقال على: أنا أنطلق يا رسول الله قال: " فانطلق". فانطلق ثم رجع، فقال يا رسول الله لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته ولا صورة إلا لطختها " ثم قال رسول الله ﷺ: " من عاد لصنع شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"<sup>(٢)</sup>.

أورد هذه الأمثلة الدكتور فضل إلهي<sup>(٣)</sup>.



(1) انظر المعجم الوسيط مادة "لطخ" ص ٨٢٥ .

(2) المسند رقم الحديث ٦٩٠٧، ٦٨٠-٦٩ .

(3) انظر فضل الهي ، الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، الطبعة الاولى إدارة ترجمان الإسلام ، ١٩٩٠م ، ص ٦-١٤ .

## الفصل الثاني

### الحسبة في عصر الصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

لا شك أن الصحابة كانوا يتأسون بسيرة الرسول ﷺ وخلقة وسلوكه ويقىمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . قال تعالى في شانهم: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(١)</sup>

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في تفسيره: " وهذه صفة المهاجرين لأنهم هم الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق فاخبر تعالى أنه إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهو صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنتهم الله في الأرض وهم أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup> .

إن الخلفاء الراشدين وهم خيرة الصحابة وهم امتداد للعهد النبوي في كثير من جوانب الحكم والإدارة . فالعهدان معا هما ما اصطلح على تسميته عند كثير من أهل العلم والتاريخ بالصدر الأول من التاريخ الإسلامي .

وعهد الخلفاء الراشدين وان وجد فيه بعض التطوير والتغيير لنظم الإدارة في جوانب أخرى لاسيما في منتصف خلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء الراشدين، حيث استخدمت بعض الدواوين ونظمت شؤون الحكم للمقاطعات والولايات في الدولة

(1) سورة الحج، الآيات (٤٠-٤١) .

(2) أحكام القرآن ٢٤٦/٣ .

الإسلامية وجعل على رأس كل ولاية أو مقاطعة أمير ينوب عن الخليفة فى كثير من شئون الحكم والإدارة إلا انه فيما يتعلق بالحسبة ظل الأمر يسير على النمط نفسه الذى كانت تسير عليه الحسبة فى عهد عليه السلام فلم تنشأ لها ولاية تتولى إدارة شئون الحسبة وتأخذ الاسم نفسه الذى عرفت به فيما بعد ، بل كان يسمى من يقوم بعملية الاحتساب بين الناس لاسيما إذا كان مكلفاً من قبل الخليفة (عاملاً) سواء كانت حسبته فى السوق أو فى مراقبة مسائل اجتماعية أخرى تستدعي الاحتساب<sup>(١)</sup>.

يتناول الباحث فى هذا المبحث الاحتساب على عهد الخلفاء الراشدين فى أولا أبو بكر وثانياً عمر بن الخطاب وثالثاً عثمان بن عفان ورابعاً على بن أبي طالب رضى الله عنهم . وذلك بالتعرض للحسبة فى عهد كل واحد منهم .

**أولاً : الحسبة فى عصر أبو بكر الصديق عليه السلام :**

(١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م) :

على الرغم من قصر فترة خلافة أبي بكر الصديق عليه السلام إلا أن ما قام به فى هذه الفترة القصيرة هو عمل عظيم يسجل له فى الخالدين الذين حفظوا للإسلام عزه وسؤدده وانتشاره فكان فى رأس كل أعماله موقفه الصلب القوي من حروب الردة إذ جعل منه أعظم المحتسبين فى التاريخ الإسلامى ، فلولا توفيق الله أولاً ثم ذلك الموقف الذى لم يرضخ فيه لبعض آراء الصحابة بان لا يقاتل المرتدين لما قامت للإسلام بعد ذلك قائمة وكانت تلك الردة بداية سوسة تنخر فى عظم الأمة حتى تقضى على دينها ولكن بقوته فى الحق وقف وقفة مشهورة فى وجه تيار الهدم وحاربهم وألزمهم الحق بالقوة وقال قولته المشهورة " والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله عليه السلام لقاتلتهم على منعه " <sup>(٢)</sup>.

(١) على بن حسن بن على القرني، الحسبة فى الماضى والحاضر، مرجع سابق، ص ٤٩٩ .  
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله - رقم الحديث ٣٢ .

وقد ظهر الارتداد على ثلاث صور: الأولى: الامتناع عن أداء الزكاة .  
والثانية: إدعاء النبوة. والثالثة: الارتداد مطلقاً<sup>(١)</sup>.

وكانت فتنه عمياء تلك التي أصابت الإسلام والمسلمين ولكن الله  
قيض لها عزيمة أبي بكر الصديق الذي كان يدعو إلى المعروف وينهي  
عن المنكر . وكانت حالة مزرية تلك التي أصابتهم .

لا يظن أحد أن ما ذكر من جهاد الصديق ﷺ وأصحابه في مقاومة  
فتنة الارتداد لا يدخل في تاريخ الاحتساب ، وذلك لان الجهاد في سبيل  
الله داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد بين سلف هذه  
الامة وخلفها . نقل الإمام الطبري قول عبد الله بن عباس رضي الله  
عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكُوفُوا أُمَّةً مِّنْ أُمَّةٍ  
لَّكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> (تأمرون  
بالمعروف): أن يشهدوا أن لا اله إلا الله والإقرار بما انزل الله وتقاتلهم  
عليه . " و لا اله إلا الله هو أعظم المعروف، وتنهون عن المنكر، والمنكر  
هو التكذيب، وهو أنكر المنكر "<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام الرازي أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ  
الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ  
عَنِ المُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> " رأس الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر ورئيسه الجهاد "<sup>(٥)</sup>.

ويقول الإمام القرطبي أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ  
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ

(1) على بن حسن بن على القرني، الحسبة في الماضي والحاضر، ج ١، مرجع سابق، ص ٥٠٠.

(2) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(3) تفسير الطبري ١٠٥/٧.

(4) سورة التوبة، الآية (١١٢).

(5) التفسير الكبير ٢٠٥/١٦.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿الْمُتَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فدل على ان أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعوة إلى الإسلام والقتال<sup>(٣)</sup>.

خلاصة القول أن جهاد الصديق ﷺ وأصحابه لقطع دابر الارتداد من صميم الاحتساب بل هو في قمته<sup>(٤)</sup> ولأبي بكر الصديق ﷺ أماكن كثيرة يمارس فيها الحسبة بنفسه أو أناب غيره لكي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

أبو بكر ﷺ لو لم يكن إلا موقفه ﷺ من حروب الردة لكفاه في شأن الحسبة وللإسلام<sup>(٥)</sup>.

**ثانياً : الحسبة في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه :**

(١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م) :

سيدنا عمر ﷺ من السلف الصالح ومن الصحابة الكرام والذين لهم سوابق مهمة في أمور الاحتساب التي يمكن أن يستفيد منها دعاة الإصلاح في العصر الحديث ويمكن أن يستفيد منها الدعاة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٦)</sup>.

إن جاء التأصيل للحسبة وقورنت جهود خلفاء وولاة المسلمين فيما يتعلق بالحسبة . جاءت حسبة عمر بن الخطاب ﷺ في طليعة تلك الجهود .

(1) سورة التوبة، الآية (٧١).

(2) سورة التوبة، الآية (٦٧).

(3) تفسير القرطبي، ٤/٤٧ .

(4) انظر فضل إلهي، الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، الطبعة الأولى (باكستان: إدارة ترجمان الإسلام، ١٩٩٠م) ص ١٨-١٩.

(5) علي بن حسن بن علي القرني، الحسبة في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص ٥٠٢.

(6) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط ١ (المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩٢) ص ٤١٥ بتصرف .

فعمر الذي فرق الله بإسلامه بين الحق والباطل وجعل إسلامه عزاً للإسلام والمسلمين، كان له دور بارز وعظيم في هذا الجانب من الجوانب التي تهتم بها الحكومة الإسلامية. بل كانت له جهود ومساهمات فيما يتعلق بالاحتساب في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق. حيث ولاة الرسول ﷺ أمر الاحتساب في سوق المدينة وهذا قبل توليه أمر المسلمين خليفة عليهم. فلما تولي الخلافة ظل يحتسب بنفسه مع إسناده أمر الاحتساب إلى غيره، ولذا روي عنه ﷺ أنه قال: حُبب إلي من دنياكم ثلاث: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحد أقيم في الله) <sup>(١)</sup> حتى ظن البعض من شدة اهتمامه بالاحتساب واشتهاره بذلك خطأ أنه أول من قام بهذا الأمر كذلك <sup>(٢)</sup>.

وله أوجه كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يعرف بالاحتساب سوف أورد بعضها كنماذج <sup>(٣)</sup>.

- ١- احتسابه في مجال العبادات
  - ٢- احتسابه في مجال التسويق
  - ٣- احتسابه فيما يتعلق بأداب اللباس .
  - ٤- احتسابه فيما يتعلق بالزينة .
  - ٥- احتسابه فيما يتعلق بالخمير
  - ٦- احتسابه على من قصر في حق الحيوانات .
  - ٧- قيامه بالاحتساب وهو على فراش الموت <sup>(٤)</sup>.
- وسوف أتناول اثنين من هذه المجالات بالشرح .

(1) انظر نصاب الاحتساب للسناي، ص ١٩٢ .

(2) انظر صبح الأعشي للقلقشندي ٤٥٢/٥ .

(3) انظر على بن حسن على القرني، الحسبة في الماضي والحاضر، المجلد الثاني، ص ٥٠٤ .

(4) انظر، الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فضل إلهي، مرجع

سابق، ص ٢٢-٢٦.

## ١- احتسابه في مجال العبادات :

مما ثبت عن احتسابه في مجال العبادات ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب في الناس ، فقال عمر رضي الله عنه : " أية ساعة هذه؟ " فقال : " يا أمير المؤمنين ! انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت " فقال عمر : " والوضوء أيضاً ولقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل " (١).

## ٢- قيامه بالاحتساب وهو على فراش الموت :

ومما يدل على اهتمامه البالغ بالاحتساب أنه لم ينسه وهو على فراش الموت . فقد روي عمر بن ميمون أنه جاء شاب إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن طعن وعرف الناس أنه ميت ، فقال له أبشريا أمير المؤمنين ببشري من الله لك ، ومن صحبة رسول الله ﷺ وقد قدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة . قال : " وددت أن ذلك كفاف ، لا لي ولا على " فلما أدبر ، فإذا إزاره يمس الأرض فقال : " ردوا على الغلام " قال : " يا ابن أخي ! أرفع ثوبك ، فإنه أبقى لثوبك وأنقي لريك " .  
ومن عنايته الفائقة بالاحتساب في هذه الحالة أيضاً ما رواه المقدم ابن معد يكرب رضي الله عنه قال : لما أصيب عمر رضي الله عنه دخلت عليه حفصة - رضي الله عنها - فقالت - يا صاحب رسول الله ﷺ ويا أمير المؤمنين " . فقال عمر لابن عمر رضي الله عنهما : " يا عبد الله ! أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع فأسنده إلي صدره ، فقال لها : إني أخرج عليك بما لي من الحق أن تتدبيني (٢) بعد مجلسك هذا ، فأما عينك فلن أملكها (٣) .

(١) المسند - رقم الحديث ١٩٩،٢٤١ .

(٢) أخرج عليك: أخرج الشيء على فلان أي حرمه عليه، انظر المعجم الوسيط مادة أخرج ص ١٦٤ .

(٣) أن تتدبيني: من الندب: أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه وفعاله، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر مادة "ندب" ٣٤/٥ .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد طالت خلافته من سنة أربع وثلاثين وستمائة الى أربع وأربعين وستمائة أي حوالي عشرة أعوام كانت عامرة بتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وما تقدم غيظ من فيض وقليل من كثير قدمته نماذج فقط لجليل أعماله العامرة فرضي الله عنه وأرضاه .

**ثالثاً : الحسبة في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه :**

(٢٣ - ٣٥هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦م):

كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان المعروف بندي النورين يقوم بالاحتساب بنفسه كما أسنده إلي غيره <sup>(١)</sup>.

سارت الحسبة في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على الطريقة نفسها التي سارت عليها في عهد من سبقه من الخلفاء وقد أولي الخليفة الثالث عناية خاصة بالإشراف على مصالح المسلمين ومن ذلك ما يتعلق بالحسبة في الأسواق وغيرها ، وقد ذكر البلاذري أن من ولاته على السوق الحارث بن الحكم <sup>(٢)</sup> ، ومن حسبته على ولاته الذين أمرهم على الأمصار أنه كتب إليهم في أول ولايته يقول : أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة وأن صدر هذه الأمة قد خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة فإن عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء إلا أن أعدل السيرة ، فعليكم أن تنظروا ثم تتنوا بأهل الذمة فتعطوهم ما لهم وتأخذون بما عليهم ثم العدو الذي تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء <sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الاهتمام الذي يعطيه لأمر الاحتساب إسناده بعض أمور الاحتساب إلي غيره ومن ذلك تعيينه لرجل من بني ليث لمنع الناس من طيران الحمام والرمي بالجلاقات . فقد ذكر الحافظ بن كثير رحمه

(1) انظر: فضل إلهي، الحسبة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(2) أنساب الأشراف للبلاذري، ٤٧/٥ .

(3) تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٤٤/٥ .

اللَّهُ أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمي بعضهم بالجلاقات فوكل عثمان رضي الله عنه رجلاً من بني ليث يتتبع ذلك فيقص الحمام ويكسر الجلاقات (جمع جلاق وهو البندق) جاء ذلك في كتاب البداية والنهاية ٢١٤/٧.

احتسب عثمان بن عفان رضي الله عنه بنفسه في أمور عديدة نذكرها هنا بدون شرح ثم أتناول نماذج من ذلك بالشرح المفصل.

قام عثمان بن عفان بالاحتساب بنفسه فيما يلي :

- ١- إنكاره على لبس الثوب المعصر .
- ٢- إنكاره على قاصدات العمرة والحج في العدة .
- ٣- أمره بذبح الحمام .
- ٤- احتسابه على اللعب بالنرد .
- ٥- إخراج من يراه شراً أو يحمل سلاحاً في المدينة .
- ٦- أمره بتسوية القبور .

كما أسند عثمان رضي الله عنه أمر الاحتساب إلي غيره .

ومن ذلك تعيينه رجلاً من بني ليث ليمنع الناس من طيران الحمام والرمي بالجلاقات كما تقدم .

فقد ذكر الحافظ ابن كثير أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ، ورمي بعضهم بالجلاقات ، فوكل عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً من بني ليث يتتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاقات .

ومن ذلك أيضاً رضي الله عنه عين شخصاً لمنع الناس من شرب النبيذ الذي فيه سكر . فقد ذكر الإمام الطبري عن القاسم بن محمد عن ابيه أنه قال : حدث بين الناس النشو (السكر) ، قال فأرسل عثمان رضي الله عنه طائفاً يطوف عليهم بالعصا ، فمنعهم من ذلك . ثم اشتد ذلك فأخشي عثمان الحدود ونياً (أخبر) ذلك عثمان وشكاه إلي الناس ، فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبيذ ، فإخذ منهم نفر فجلدوا <sup>(١)</sup> .

(1) تاريخ الطبري ٣٩٨٤

أ تناول بالشرح نموذجين من نماذج احتساب عثمان بن عفان رضي الله عنه .

### ١- إنكاره على لبس الثوب المعصر :

من احتسابه ﷺ أنه أنكر على محمد بن جعفر بن أبي طالب أنه لبس الثوب المعصر. فقد روي الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قاله: راح عثمان ﷺ إلي مكة حاجاً ، ودخلت على محمد بن جعفر بن علي بن أبي طالب امراته ، فبات معها حتى أصبح ، غداً عليه ردع (لطخ واثر) الطيب وملفحة معصرة مقدمة (مشبعة حمرة) ، فأدرك الناس بملل (موقع) وقبل أن يروحوا فلما فرآه عثمان ﷺ انتهر واقفاً وقال : أتلبس المعصر وقد نهي عنه رسول الله ﷺ.

### ٢- إخراجهم من يراه على شر أو يحمل سلاحاً في المدينة المنورة.

ومن احتسابه أنه كان ينكر على من يراه على شر أو كان يحمل معه سلاحاً ويخرجه من المدينة المنورة .

فقد روي الإمام الطبري عن سالم بن عبد الله ﷺ قال: " وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شر أو شهر سلاح ، عصا وما فوقها إلا سيره. لقد كان لعثمان بن عفان دور واضح في الاحتساب مما كان له أثر بليغ في إشباعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الإسلامي آنذاك وهي صورة مشرقة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جدير بنا في هذه الأيام وجدير بالذين يولون أمر المسلمين التأسسي بخلفاء صدر الإسلام في الاحتساب وإشاعته في المجتمع المعاصر حتى تعود الحياة سيرتها الأولى ويشيع فيها الطهر والنقاء<sup>(١)</sup> .

(١) انظر: فضل إلهي، الحسبة في عصر الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين ﷺ، ص ٢٨-٣٠ .

رابعاً : الحسبة في عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ :

(٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م) :

في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ تواصلت الممارسة حيث الاهتمام بالسوق وبنظافته وحسن سير الأداء في معاملاته . وكان علي ﷺ قد راقب الأسواق بنفسه أيام خلافته ودعا الناس أن لا يظلم بعضهم بعضاً ، وأن يبتعدوا عن الغش في الميزان ، وكان شديد على من يطيل يده بالأذى إلي الرعية وإلي أموال الدولة <sup>(١)</sup> .

اهتمام علي بن أبي طالب ﷺ قد تميز عن عهد سلفه عثمان بن عفان ﷺ يؤكد ذلك جهوده وصور الحسبة كثيرة في مقابل ما دون ذلك بعثمان بن عفان ﷺ . وعلي ﷺ قد باشر الحسبة بنفسه ويظهر لنا ذلك من الصور الحسبية ، كما كان يولي بعض من يثق فيهم ويختارهم لهذه المهمة الجليلة .

من أجلي صور احتسابه ﷺ اهتمامه بأمر عماله .. ذكر ابن كثير رحمه الله بعض كتبه التي كان يرسلها إلي عماله في الأمصار ومنها كتاب له إلي بعض عماله جاء فيه : (أما بعد فلا تطولن حجابك علي رعايتك فإن الاحتجاب عنهم يقطع عنهم ما احتجبوا دونه فيضعف عندهم الكبير ويعظم عندهم الصغير ويقبح عندهم الحسن ويحسن عندهم القبيح ويشاب الحق بالباطل وإنما الوالي بشر لا يعرف ما يواري عنه الناس به من الأمور وليس على القوم سمات بشر لا يعرف ضروب الدق من الكذب فتحصن من الإدخال في الحقوق بين الحجاب فإنما أنت أحد الرجلين إنا امرؤ شحت نفسك بالبذل في الحق ففيما احتجابك من حق واجب عليك أن تعطيه وخلق كريم تسر به ؟ وإما مبتلي بالمنع والشح فما أسرع زوال نعمتك وما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يسؤوا من ذلك أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاية مظلمة

(١) خالد خليل الظاهر، نظام الحسبة، ط١ (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٩٩٧م).

أو طلب إنصاف في معاملة فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حفظك  
ورشدك إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

وكتب الى كعب بن مالك عامله على الكوفة يقول: (فاستخلف  
على عملك وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد  
كورة<sup>(٢)</sup> كورة فتسألهم عن عمالهم وتتنظر في سريرتهم حتى تمر بمن  
كان منهم فيما بين دجلة والفرات ثم ارجع إلى المقبذات (اسم كور  
ببغداد) فتولي معونتها واعمل بطاعة الله فيما ولاك واعلم أن الدنيا فانية  
وأن الآخرة آتية وأن عمل ابن آدم محفوظ عليه وأنت كجزى بما أسلفت  
وقادم على ما قدمت من خير فاصنع خيراً تجد خيراً)<sup>(٣)</sup>.

ولقد عني أمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام بأمر الحسبة  
والاحتساب فقام به بنفسه كما أسنده إلي غيره .

نورد فيما يلي قيامه بالحسبة بنفسه :

**أولاً : قيام علي عليه السلام بالاحتساب بنفسه :**

لقد قام على بن أبي طالب عليه السلام بالاحتساب في مجالات عديدة منها :

**احتسابه فيما يتعلق باللباس والزينة والهيئة :**

• ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير عن أبي مطر قال: (خرجت  
من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي "ارفع إزارك فإنه أبقي لثوبك،  
واتقي لك ، وخذ من شعرك إن كنت مسلماً)<sup>(٤)</sup>.

• ومنها أنه عليه السلام أنكر على ابنته حينما رأها لابسة لؤلؤة مملوكة  
لبيت المال ظناً منه أنها سرقتها من بيت المال . فقد روي الإمام الطبري  
عن ابن أبي رافع - وكان خازناً لعلي عليه السلام على بيت المال - أنه - قال:  
دخل علي عليه السلام وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان

(1) البداية والنهاية لابن كثير ٨/٧.

(2) الكورة: المدينة، الصقع، والجمع كور .

(3) الخراج لأبي يوسف، ص ١٢٨.

(4) البداية والنهاية، ٤/٨.

عرفها، فقال: (من أين لها هذه ؟ لله على أن أقطع يدها) قال: فلما رأيت جده في ذلك، قلت: (أنا) والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي ومن أين كانت تقدر لو لم أعطها ! فسكت .

### احتسابه في مجال السوق :

ومن المجالات التي كان يهتم بها بن أبي طالب عليه السلام مجال السوق، فكان يمشي فيه ومعه درته يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر . فقد روي ابن سعد عن الحر بن جرموز عن أبيه قال: (رأيت علياً عليه السلام وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان<sup>(1)</sup> إزار إلي نصف الساق، ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له، يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بتقوي الله وحسن البيع ويقول: (أوفوا الكيل والميزان). ويقول (لا تتفخوا باللحم)<sup>(2)</sup> .

ومن أمثلة احتسابه في السوق ما ذكره الحافظ ابن كثير عن أبي مطر فيه " مشيت خلفه - أي خلف علي عليه السلام - وهو مؤتزر بإزار، ومرتد برداء، ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي حتى انتهى إلي دار أبي معيط وهو يسوق الإبل فقال: " ثم أتني أصحاب التمر فإذا خادم - واحد الخدم غلاماً كان أو جارية - تبكي، فقال ما يبكيك ؟ قالت باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فرده موالي، فأبى أن يقبله. فقال له علي: (خذ تمرك وأعطها درهماً فإنها ليست لها أمر) فدعه. ثم مر مجتازاً بأصحاب التمر فقال: (يا أصحاب التمر ! المسلمون، حتي انتهى إلي أصحاب السمك فقال (لأي يباع في سوقنا طاي) السمك الطاي هو الذي يموت في الماء ثم يعلو فوق وجهه .

أوردت كتب السيرة العديد من المواطن التي احتسب فيها على رضي الله عنه وما تقدم نماذج فقط توضيح كيف كان أمير المؤمنين علي ابن

(1) قطريتان: قطري، ضرب من البرود فيه حمرة .

(2) لا تتفخوا باللحم: ينفخ بعض الجزائريين في بعض البلدان في أوراغ الذبيحة كي تتفخ وتظهر مليئة، عن ذلك علي عليه السلام لما فيه من محاولة خداع الناس والله أعلم بالصواب - انظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٦٤٥ .

أبي طالب يقوم بالاحتساب مما كان له أطيّب الأثر في إصلاح مجتمع المدينة وكان كذلك يسند أمر الاحتساب إلي غيره . فقد روي الإمام مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام : (ألا أبعثك ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً إلا سوّيته)<sup>(١)</sup> .

هكذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام مستمّاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآن المسلمون في أمس الحاجة إلي الاستئان بسنة من سلف من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تعود أمة الإسلام إلي الإصلاح بفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذلك الواجب الذي غاب ردحاً من الزمن ولا يزال غائباً .



---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبور - حديث رقم ٦٩٦ ، ٦٦٦/٢ .

## الفصل الثالث

### الحسبة في عصر التابعين

#### ( عمر بن عبد العزيز نموذجاً )

لقد كان عهد التابعين<sup>(١)</sup> امتداداً لعهد الصحابة رضي الله عنهم، حيث أنهم اهتموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقاموا بالنصح لأنفسهم ولإخوانهم المسلمين .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو صمام الأمان للمجتمع الإسلامي من أي انحراف ، ومحاربة للمظاهر السالبة أولاً بأول ، فما استفحلت المنكرات إلا عندما خفت صوت الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

شهد عهد التابعين كثيراً من الأ خيار الذين قاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن أبرز هؤلاء الذين أشعلوا مصابيح الحق بعدما أوشكت أن تنطفئ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، الذي سيكون نموذجاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصر التابعين .

#### نسبه وميلاده :

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف. الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد ، السيد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية<sup>(٢)</sup> كان حسن الأخلاق والخلق، كامل العقل، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أوهاً منيباً، قانتاً لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قلة المعين<sup>(٣)</sup>.

(1) التابعي: قال الخطيب البغدادي: التابعي من صحب الصحاب، وفي كلام الحاكم ما يقتضي إطلاق التابعي على من لقي الصحابي وروي عنه، وإن لم يصحبه. انظر الباحث شرح اختصار علوم الحديث، تأليف محمد علي أبو حمزة، ص ٨٢.

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٥، ص ١١٤.

(3) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

اختلف المؤرخين في سنة ميلاده والراجح أنه ولد عام ٦١هـ ، وهو قول أكثر المؤرخين . ولأنه يؤيد ما ذكر أنه توفي وعمره أربعون سنة حيث توفي عام ١٠١هـ<sup>(١)</sup> .

### إقباله على العلم :

فقد رزق منذ صغره حب الإقبال على طلب العلم وحب المطالعة والمذاكرة بين العلماء ، كما كان يحرص على ملازمة مجالس العلم في المدينة ، وكانت يوماً منارة العلم والصلاح ، زاخرة بالعلماء والفقهاء والصالحين ، وتاقت نفسه للعلم وهو صغير ، وكان أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب<sup>(٢)</sup> .

### ولايته على المدينة :

في ربيع الأول عام ٨٧هـ ولاء الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة المنورة ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة ٩١هـ . بذلك صار والياً علي الحجاز كلها ، واشترط عمر لتوليهِ الإمارة ثلاثة شروط :

### الشرط الأول :

أن يعمل في الناس بالحق والعدل ، ولا يظلم أحداً ، ولا يجور على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال ، ويترتب على ذلك أن يقل ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة .

### الشرط الثاني :

أن يسمح له بالحج في أول سنة ، لأن عمر في ذلك الوقت لم يحج .

### الشرط الثالث :

أن يسمح له العطاء أن يخرجهُ للناس في المدينة . فوافق الوليد على هذه الشروط . وباشَر عمر عمله بالمدينة وفرح به الناس فرحاً شديداً<sup>(٣)</sup> . إن هذه الشروط التي اشترطها عمر - رحمه الله - تدل على حبه للعدل والإنصاف وخوفه أن يجرفه التيار الذي جرف من قبله من الولاة .

(1) البداية والنهاية لابن كثير، ص ٦٧٦ .

(2) المصدر نفسه، ص ٦٧٩ .

(3) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، ص ٤١ ، ٤٢ .

## قيامه بالأمر بالمعروف ونهيه عن المنكر :

لقد وجد عمر بن عبد العزيز اعوجاجاً كبيراً في سير الدولة الإسلامية خلال حكم بني أمية، وهذا مما أرهق كاهله وألقى عليه تبعات كثيرة لأبد من معالجتها. وقد نهض بهذه المهمة الكبيرة بصبر واحتساب. وبما أن الإصلاحات التي قام بها كثيرة سنورد نماذج من هذه الإصلاحات التي تقع في دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة).

### ١ - رده أمر الحكم إلي الشوري :

إن حكم المسلمين ليس بالتسلط والتكبر بل هو بالشوري والرضا من جماعة المسلمين بمن ولي عليهم. ولو كانت الشوري تترك لتركها رسول الله ﷺ المؤيد بالوحي ... قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾<sup>(١)</sup> مع هذا الأمر الواضح فإن بني أمية انحرفوا عن هذا المنهج وأخذوا الولاية قصراً وتسلطاً. فلما آل الأمر إلي عمر بن عبد العزيز أراد أن يعيد سيرة الدولة الإسلامية إلي دولة النبوة ودولة الخلفاء الراشدين فقد كان عمر مهموماً عندما عهد السلطان سليمان بن عبد الملك بالولاية لمن بعده في عهد مكتوب ومختوم بختمه، وذلك في حضور رجاء بن حيوة الكندي. كان عمر يخشى أن يكون سليمان عهد بالأمر بعده له. فعندما مات سليمان بن عبد الملك اجتمع الناس بأمر رجاء بن حيوة ليقراً عليهم بما عهد به سليمان. قال رجاء: فأرسلت إلي كعب بن حامد العنسي، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا فصي مسجد دابق فقلت: بايعوا، قالوا: بايعنا مرة ونبايع أخري! قلت: هذا أمير المؤمنين، بايعوا على ما أمره به، ومن سمي في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أنني أحكمت الأمر، قلت قوموا إلي

(1) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

صاحبكم فقد مات . قالوا :إنا لله وإنا إليه راجعون . وقرأت عليهم الكتاب ، فلما انتهيت إلي ذكر عمر بن عبد العزيز . نادي هشام لا نبايعه أبداً . قال : قلت : أضرب عنقك ، قم فبايع . فقام يجر رجله . قال رجاء : وأخذت بضبعي عمر فأجلسته على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه . فلما انتهى هشام إلي عمر قال : إنا لله وإن إليه راجعون ، أي حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبد الملك . قال : فقال عمر : نعم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، حين صار إلي لكراهتي به<sup>(١)</sup> .

صعد عمر المنبر فقال في أول لقاء مع الأمة بعد استخلافه : أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختراروا لأنفسكم . فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فول أمرنا باليمن والبركة<sup>٢</sup> رحم الله عمر فقد جعل الناس في حل من بيعته ورد الأمر إلي الشوري ولكن الناس لم يرضوا بغيره لمعرفتهم به . فبإيت حكامنا في بلاد المسلمين ردوا أمر الحكم للشوري وجنبوا المسلمين المصادمات لتي تقع دائماً بسبب الحكم ، ولكن أصبح الحكم عندهم قهراً وجبراً لا تراعي فيه كرامة لأحد .

## ٢- عدم انصياعه للباطل ونصحه للوليد بن عبد الملك وسليمان :

إن من الصعب مواجهة حاكم من حكام بني أمية في أمر يريدونه ، ولكن عمر بن عبد العزيز بما عرف به من نصح وجرأة لا يمكن أن ينصاع للباطل ، فمما كان يؤلم عمر إطلاق يد أمراء بني أمية في قتل الناس بشبهة فقد ورد أن عمر دخل على الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن

(١) تاريخ الطبري (٧/٤٤٥)، (٥/٣٣٥-٣٣٨) .

(٢) انظر الطبقات (٥/٣٤٠)، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم، ص ٣٥-٣٦ .

عندي نصيحة فإذا خلا لك عقلك، واجتمع فهمك سلني عنها . قال : ما يمنعك عنها الآن ؟ قال : أنت أعلم .. فمكث أياماً . ثم قال : يا غلام من الباب؟ فقيل له : ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز ، فقال : ادخله ن فدخل عليه . فقال : نصيحتك يا أبا حفص . فقال عمر : إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم ، وإن عمالك يقتلون إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا ، وأنت المسوؤل عنه والمأخوذ به ، فاكتب إليهم ألا يقتل أحد منهم أحداً حتي يكتب بذنبه ، ثم يشهد عليه . ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك . فقال : بارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك . على بكتاب . فكتب إلي أمراء الأمصار كلهم فلم يخرج ذلك إلا الحجاج<sup>(١)</sup> فقد كان عمر رقيقاً بالمخالفين لبني أمية ويرى نصحهم وحسبهم بدل قتلهم . كما ورد في قصة أحد الخوارج الذي أرسله الحجاج للوليد وذلك ليبطل ما نصح به عمر بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> . كذلك من مواقفه البارزة نصحه للوليد بن عبد الملك عندما أراد خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ويعهد بالأمر من بعده لابنه . لقد اعترض عمر على ذلك عندما طلب منه الوليد خلع سليمان قال له : يا أمير المؤمنين إنما بايعنا لكما في عقد واحدة ، فكيف نخلعه نتركك ؟ فغضب الوليد على عمر وحاول استخدام الشدة معه ، لعله يوافقه على ما أراد ، فيذكر أنه أغلق عليه الدار وطين عليه الباب ، حتى تدخلت أم البنين أخته وزوجة الوليد ، ففتح عنه بعد ثلاث وقد ذبل ومال عنقه<sup>(٣)</sup> .

لقد دفع عمر - رحمة الله - ضريبة نصحه وحبه للعدل ، ومع كل هذا لم تلن قناته بل واجه سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ، وأنكر عليه إنفاق المال في غير موضعه . ورد أن سليمان قدم المدينة ، فأعطي بها مالاً

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم، ص ١١٩-١٢١.

(2) انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم ص ١١٩-١٢١ أثر العلماء في الحياة السياسية، ص ١٦٤ .

(3) سير أعلام النبلاء (١٤٨/٥-١٤٩) .

عظيماً فقال لعمر بن عبد العزيز : كيف رأيت ما فعلنا يا أبا حفص؟  
قال: رأيتك زدت أهل الغني غني، وتركت أهل الفقر بفقرهم<sup>(١)</sup>.

كذلك أنكر على سليمان تحكيم كتاب أبيه عبد الملك . كلم  
عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في ميراث بعض بنات عبد  
العزيز من بني عبد الملك، فقال له سليمان: إن عبد الملك كتب في ذلك  
كتاباً منعهن ذلك ، فتركه يسيراً ثم راجعه ، فقال سليمان أنه اتهمه  
فيما ذكر من رأي عبد الملك في ذلك الأمر ، فقال سليمان لغلامه: أتتني  
بكتاب عبد الملك . فقال له عمر: أبا المصحف دعوت يا أمير المؤمنين ؟  
فقال أيوب بن سليمان: ليوشكن أحدكم أن يتكلم بكلام تضرب فيه  
عنقه، فقال له عمر: إذا أفضي الأمر إليك فالذي دخل على المسلمين  
أعظم مما تذكر . فزجر سليمان أيوب . فقال عمر: إذا كان جهل فما  
حلمنا عنه<sup>(٢)</sup> إن هذا من مواقف الجرأة التي تميز بها عمر ، لقد ظن  
سليمان أن كتاب أبيه لا ينقض ، ولكن بين له عمر الكتاب الذي لا  
ينقض ولا يبدل هو كتاب الله وليس ما درج عليه الآباء والاجداد .

### ٣- رد المظالم :

إن حكام بني أمية ارتكبوا كثيراً من الجور والظلم مما جعل عمر  
ابن عبد العزيز مضطراً إلي معالجة هذا المنكر ورد الحقوق إلي أهلها .  
كان رد المظالم من أكثر الأمور التي أثارت حفيظة بني أمية على  
عمر - رحمه الله - وذلك أن عمر تتبع كل المظالم وعالجها بما في ذلك  
المخصصات والامتيازات التي كانت لبني أمية بغير وجه حق .

بدأ عمر بمعالجة المظالم ابتداء بنفسه . روي ابن سعد أنه عندما أراد  
عمر رد المظالم قال : إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي<sup>(٣)</sup> وهذا الفعل  
جعله قدوة للآخرين . فنظر إلي ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه

(1) أثر العلماء في الحياة السياسية، ص ١٣١ .

(2) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم، ص ١٣١ .

(3) الطبقات لابن سعد (٣٤١/٥) .

حتى نظر إلي فص خاتم . فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه <sup>(١)</sup> لقد رد عمر كل ما فيه شبهة من ماله وضياعه حتى أنه نزع الفضة التي كان يحلي بها سيفه وحلاه بالحديد <sup>(٢)</sup> بعدما رد عمر ما يخصه، عطف بعد ذلك على رد مظالم بني أمية فقد رأي ما أذهله وهو أن أبناء عمه من الأمويين ادخلوا الكثير من مظاهر السلطان التي لم تكن موجودة على عهد النبي ﷺ أو خلفائه الراشدين، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة والأبهة أمام رغبتهم . ومن تلك المظاهر المراكب الخلافية التي تتألف من برازين وخيول وبغال، ولكل دابة سائس، ومنها أيضاً تلك السراقات والحجرات والفرش والوضاءات التي تعد من أجل الخليفة الجديد، فوجئ بتلك الثياب الجديدة وقارورات العطر والدهن التي أصبحت له بحجة أن الخليفة الراحل لم يصيبها، فهي من حقه بصفته الخليفة الجديد، وهذا كله إسراف وتبذير لا مبرر له يتحملة بيت مال المسلمين، وهو بأمس الحاجة لكل درهم فيه لينفق في وجهه الصحيح الذي بينه الله ورسوله، وهنا أمر مولاه مزاحماً فور تقديم هذه الزينة له ببيعها وضم ثمنها لبيت مال المسلمين <sup>(٣)</sup>.

لقد جرد عمر بني أمية من أموال وأملاك من شتى الصنوف والأنواع، جمعت بمختلف الطرق وسائر الأساليب ، جرد عمر بني أمية منها ومزق مستنداتهما واحدة واحدة وردها إلي مكانها الصحيح ، مظالم وجوائز وهدايا ومخصصات استثنائية وضياع وقطاع ، جمعت كلها على شكل ممتلكات ثابتة ونقود سائلة ، بلغت في تقدير عمر شطراً كبيراً من أموال الأمة جاوزت النصف <sup>(٤)</sup>.

(1) نفس المصدر، ص ٣٤٢، ٣٤١ .

(2) نفس المصدر، ص ٣٥٥ .

(3) عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، ص ٢١٣ .

(4) سيرة عمر بن عبد العزيز لأين الجوزي، ص ١١٥ .

لقد ضج بنو أمية من هذه السياسة العدلية التي لم يعهدها وحاولوا  
بشتي السبل اعتراض عمر ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل لأن  
عمر - رحمه الله - كان نظره إلي ما أمامه من مشاهد الآخرة  
وأهوالها، فهان عليه من سبقه . وقد توسلوا له بعمته فاطمة بنت مروان،  
حيث كانت لها مكانة في نفوس بني أمية، فلما دخلت عليه عظمها  
وأكرمها كعادته، والقي لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك  
يشكونك ويذكرونك أنك أخذت عنهم خير غيرك. قال: ما منعتم حقاً  
أو شيئاً كان لهم، ولا أخذت منهم حقاً شيئاً كان لهم فقالت: إني  
رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً. فقال: كل  
يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره<sup>(١)</sup> لله در عمر فقد سجل  
هذا الموقف الصارم الذي لم يجامل فيه لأن الحق عنده هو الذي يجب أن  
يصان. لقد أحدث عمر - رحمه الله - انقلاباً كاملاً في الحياة العامة  
للناس، وأعاد ما اندثر من مآثر الإسلام وسنن الحق، كان يميم البدع  
ويحيي السنن. ونكتفي بما ذكرناه عن عمر من أمره بالمعروف ونهيه  
عن المنكر، واستقصاء أعمال عمر وأفعاله الراشدة يحتاج إلي سفر  
ضخم، وما أشرنا إليه إنما هو إشارة ببيان وليس إحاطة بمعصم. نسأل  
أن يقيض الله للأمة الإسلامية أمثال عمر حتى ينعم الجميع في ظلال  
الإسلام الوارفة بعقب الحرية والعدالة التي تجعل الجميع تحت معيار واحد  
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)<sup>(٢)</sup>.

### مراسم تولية عمر بن عبد العزيز :

نذكر في آخر هذا المقال مراسم تولية عمر بن عبد العزيز لتكون  
نبراساً لمن يتولي أمر الدولة الإسلامية .

قال الإمام احمد بن حنبل " إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز  
ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله "

(1) نفس المصدر، ص ١١٧.

(2) سورة الحجرات، الآية (١٣).

ونحن في هذه المقالة القصيرة نذكر بعض محاسن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . ونذكر علي وجه الخصوص مراسم توليته . إن سيرة عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه تعد مدرسة تربوية علي نمط فريد يحتاج لها الناس في هذا الزمن الأغبر . ويجد فيها المتعطشون إلي التقوي والخير والصلاح وأهل الاستقامة والورع والمثل العليا ما يروي غليلهم . ما أحوجنا في هذا العصر الذي طغت فيه المادة على كل شيء في حياة الناس أن نستلهم مسيرة عظماء الإسلام من أمثال عمر بن عبد العزيز ونحاول أن نسير علي خطاهم .

لما دفن عمر بن عبد العزيز ، سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هزة أو رجة فقال ما هذه؟ فقيل: هذه مواكب الخلافة يا أمير المؤمنين ، قربت إليك لتركبها فقال مالي ولها ، نحوها عني ، قربوا إلي بغلتي . فركب بغلته . فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال تنح عني مالي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين فسأر وسار معه الناس حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال: أيها الناس إنني قد أبليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين . وإنني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي . فاختاروا لأنفسكم . فصاحوا صيحة واحدة . قد اخترناك يا أميرورضينا فلك أمرنا باليمين والبركة .

فلما رأى الأصوات ، ورضي الناس به جميعاً ، حمد الله وأثنى عليه وصلي على النبي ﷺ فقال ، أوصيكم بتقوي الله ، فإن تقوي الله عز وجل خلف فاعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته ، كفاه الله تبارك وتعالى دنياه ، وأصلحوا سرائركم ، يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا من ذكر الموت . وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم . فإنه هادم اللذات وأن هذه الأمة لم يختلف في ربها عز وجل ولا نبيها ﷺ ولا في كتابها . واختلف في الدرهم والدينار . وإنني والله لا أعطي أحداً باطلاً ولا امنع أحداً حقاً ...

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: إيها الناس من أطاع الله فقد  
وجبت طاعته ومن عصي الله فلا طاعه له، أطيعوني ما أطعت الله عز  
وجل، فإن عصيت الله فلا طاعة عليكم. ثم نزل فدخل، فأمر بالسفور  
فهدت، والثياب التي كانت تبسط الخلفاء فحملت وأمر ببيعها  
وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين. ثم ذهب تبوأ مقيلاً. فأتاه ابنه عبد  
الملك بن عمر فقال يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال أي بني  
أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم، فقال أي بني قد سهرت البارحة في  
أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم. فقال: يا أمير  
المؤمنين من لك أن تعيش إلي الظهر؟ قال: ادن مني بني فدنا منه  
فالتزمه، وقبل بين عينيه، وقال الحمد لله الذي أخرج من صليبي من  
يعينني علي ديني، وخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له  
مظلمة فليرفعها. فقام إليه ذمي "من أهل الذمة" من حمص أبيض الرأس  
واللحية فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل وماذا  
ذاك: قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي والعباس  
جالس فقال يا عباس ما تقول؟ قال أقطعنيها يا أمير المؤمنين الوليد ابن  
عبد الملك وكتب لي بها سجلاً فقال عمر ما تقول يا ذمي؟ قال يا أمير  
المؤمنين: أسألك كتاب الله عز وجل. فقال عمر كتاب الله أحق أن  
يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك فاردد عليه يا عباس ضيعته فرد عليه  
فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يديه وفي أيدي أهل بيته من المظالم إلا  
ردها مظلمة مظلمة. فبلغ ذلك خطاب طويل نجده في كتب التاريخ  
والسيرورد عليه عمر بن عبد العزيز بحجج واضحة توضح سيرته  
ومسيرته في الإصلاح علي المنهج الإسلامي ..

وبعد هذه شذرات ونذر قليلة من سيرة عمر بن عبد العزيز كوال  
مسلم جاء خلفاً لخلفاء لم يسلكوا في الحكم قيم العدل والحرية  
ولكن جاء عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب مطبقاً المبادئ

الإسلامية من أول يوم تولي فيه أمر المسلمين. نذكر بهذه السيرة  
والسريرة لأنها تتناسب الزمان والمكان. وذلك لنستفيد من هذا التاريخ  
المجيد ونستدعي تلك الأيام المشرقات لهذه الأيام المظلمات والظلمات وترد  
المظالم كما فعل عمر بن عبد العزيز ويكون لنا من ولاة الأمر من يسير  
سير عمر بن عبد العزيز وليعلم الناس أن الحكم أمانة وأنه يوم القيامة  
خزي وندامه إلا من أخذه بحقه . نرجو أن يقتدي الولاة بعمر بن عبد  
العزيز ذلك الوالي الذي يعد من زعماء الإصلاح بالمنهج الإسلامي الذي  
كان ولا يزال هو الأقدر علي إصلاح المجتمع<sup>(1)</sup>.



---

(1) صحيفة الحياة، العدد ٨٩٥، بتاريخ ٩/٩/٢٠٠٥م.